جمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

ما ينصرف وما لا ينصرف

أبو إسحق الزجاج

٢٣٠ - ٣١١ هـ

تحقيق

هدى محمود قراعة

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

القاهرة
١٣٩١ - ١٩٧١

الكتاب
الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم الأستاذ

محمد أبو الفضل ابراهيم — رئيس لجنة إحياء التراث الإسلامى

كان النبيّ عليه السلام من أشرف قبائل العرب ؛ نشأ فى بنى هاشم واسترضع فى بنى سعد وأوتى جوامع الكلم ، ونزل عليه القرآن الكريم بلسان عربى مبين ، كتاب فصلت آياته من لدن حكيم خبير . إلا أن رسالته كانت إلى الناس كافة ، ودعوته كانت إلى الأسود والأحمر والعربى والعجمى على السواء ؛ وفى سبيل ذلك دعا إلى الجهاد وخاطب ملوك الأرض ؛ ولم يمض على ذلك إلاّ زمن قصير حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وتكونت تحت راية الإسلام أمة واحدة ، متسعة الأطراف مترامية الجنبات ؛ إلا أنها تنطق بألسنة مختلفة ، وتنزع إلى أصول متباينة .

وكان نتيجةً لاختلاط العرب بالموالى وغيرهم ، أن شاع اللحن فى الكلام ، وتطرق الفساد إلى اللغة ؛ وكاد أن يدخل ذلك فى القرآن . وهال المسلمين فى صدر الإسلام الأمر ، وأحسوا بالخطب ؛ فقام أبو الأسود بوضع مبادئ النحو ، وجاء من بعده تلاميذ له أخذوا عنه وزادوا فيه ، وتلقاه عنه غيرهم ؛ ولم يلبث هذا العلم بعد خطوته الأولى أن استقام على الطريق ، ومضى يغذّ السير إلى حظّه المقدور من النمو والازدهار ، وتوافر العلماء على الاشتغال به ، وتتابعت جهودهم فيه طبقة بعد طبقة ، إلى أن استوى عوده وبلغ أشدّه ، وتنوعت فروعه ، وتشعبت طرقه ومسالكه ، وأصبح علما له كل ما للعلوم من أصول ومقوّمات . وبلغ غايته على يد الخليل بن أحمد شيخ العربية ، وتلميذه سيبويه إمام النحاة .

ثم نشط العلماء من بعد ، يعقدون لدراسته المجالس ، ويقيمون المناظرات ، ويصنفون الكتب والرسائل ؛ من وجيز إلى متوسط إلى مبسوط ، ومن كتب فى النحو خاصة وكتب فى الصرف خاصة وكتب تجمع بينهما ، إلى كتب فى شواهده ، وأخرى فى فلسفته ، وغيرهما فى نقده ؛ مما تداول بين العلماء وتنقل فى الأمصار ، وكان له حظ موفور عند الأمراء والخلفاء ، وأثرت بهذه الكتب المكتبة العربية ، وزخرت بها خزائن الكتب فى الشرق والغرب ، غير ما ذهبت به عوادى الأيام ومحن الأحداث فى العصور المتتابعة .

وقد جرت عادة النحاة أن يذكروا موانع الأسماء من الصرف فى باب من أبواب كتب النحو ، ويقصرون كلامهم فيه على بعض القضايا والأحكام ، دون استقصاء لمسائل هذا الباب ، اكتفاء بورودها فى بعض الأبواب الأخرى . ثم جاء العلامة إبراهيم بن السرى المعروف بالزجاج أحد أعيان القرن الرابع فخالف من قبله ، وجرّد همته لتأليف كتاب فى الصرف ، قصره على باب ما ينصرف وما لا ينصرف ، وأضاف إليه بابا جديدا فى أحكام التسمية بحروف الهجاء وبعض مركبات الأسماء وطريقة النطق بهما . وهو باب يتصل اتصالا وثيقا بما يحدث فى تطور الأسماء فى اللغة على مرور الأزمان .

ولذلك كان هذا الكتاب إلى جانب أصالته ونسبته إلى شيخ من شيوخ العربية — من الكتب التى تمس الحاجة إلى نشرها ، وخاصة بالنسبة لما يشيع اليوم من المسميات التى يكتفى فيها بالحروف الأولى من تسميتها المعهودة .

والسيدة هدى قراعة من فضليات نساء العصر ؛ وممن أخذن بنصيب وافر فى دراسة العربية ؛ وإقدامها على تحقيق هذا الكتاب ، وقدرتها على تحرير نصه ، وما قامت به من تعليقات نافعة متنوعة وفهارس ، يعد خطوة مباركة نحو تحقيق الكتب الأصيلة ، كما يضيف جهدا جديدا إلى الجهود الجادة التى تقوم لجنة إحياء التراث بحمل أمانتها والقيام بها .

ونرجو أن تتابع السيدة هدى قراعة خطواتها فى هذا السبيل وإن كان شاقا وعرا ؛ إلا أن ذلك مما يفيد جمهرة العلماء والباحثين . والله الموفق

محمد أبو الفضل إبراهيم

تمهيد

للتعريف بأبى اسحاق الزجاج وكتابه
« ما ينصرف وما لا ينصرف »

عصر الزجاج :

عاش أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج فى الفترة مابين (٢٣٠ – ٣١١)هـ وهى الفترة التى توافق (٨٤٦ – ٩٢٨) م على اختلاف فى كتب الطبقات فى السنة التى توفى فيها ، وعدد السنين التى عاشها . وقد تواكب على الحكم فى تلك الفترة تسعة خلفاء .

- جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد (٢٠٦ – ٢٤٧) هـ [١].
- محمد المنتصر بن المعتصم بن الرشيد (٢٢٢ – ٢٤٨) هـ[٢] .
- المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم بن الرشيد (٢٢٠ – ٢٥٢) هـ [٣] .
- أبو عبد الله المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد (٢٣١ – ٢٥٥) هـ [٤] .
- محمد المهتدى بالله بن هارون الواثق بن المعتصم (٢١٨ – ٢٥٦) هـ [٥] .
- أحمد المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم (٢٣١ – ٢٧٩) هـ [٦] .
- المعتضد أبو العباس أحمد بن أبى أحمد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم (٢٠٠ – ٢٨٩) هـ [٧]

---

(١) محمد الخضرى / محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية / ٢٥٤ – ٢٥٥ .

(٢) المصدر السابق/ ٢٧٠ . (٣) المصدر السابق /٢٧٢ .

(٤) ابن طباطبا / الفخرى فى الآداب السلطانية/٣٢٢ . (٥) المصدر السابق / ٣٦٦ .

(٦) المصدر السابق / ٣٤٢ .

(٧) المصدر السابق / ٣٤٩ ، المسعودى / مروج الذهب / ٢٧٣/٤ .

- على المكتفى بن المعتضد بن أبي أحمد بن المتوكل (٢٣٦ - ٢٩٥) هـ[١]

- جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بن أبي أحمد بن المتوكل (٢٨٢ - ٣٢٠) هـ[٢]

وهكذا نجد أن الزجاج قد عاش تسعة عصور من عصور الخلافة العباسية ومن الخلفاء من مكث فى الحكم أقل من سنة .

الحالة الاجتماعية :

تتضح فيما يتخذه الخلفاء تجاه رعيتهم ، وكان المعتضد قد « نشر العدل ، ورفع الظلم عن الرعية »[٣] .

وكان « حاسماً لمواد أطماع عساكره عن أذى الرعية »[٤] وكان « محسنًا إلى بنى عمه من آل أبي طالب »[٥] ، وكان « أصحابه يكفون عن الظلم خوفًا منه »[٦] ، وقد « أمر بإبطال ديوان المواريث ، ورد الفاضل من سهام المواريث على ذوى الأرحام »[٧]

وتتضح أيضًا فى تكسب العلماء من حرفهم ، وفى نسبتهم إليها ، فمنهم أبو بكر الخياط وابن السرى الرفاء ، ومحمد بن جعفر العطار ، ومن قبلهم أبو زكريا الفراء ، وشخصيتنا أبو إسحاق الزجاج ، ولم يكن ذلك معيبًا .

الحالة الاقتصادية :

ولى المعتضد والدنيا خراب ، والثغور مهملة ، « فقام بالأمر قياماً مرضياً »[٨] حتى « عمرت مملكته ، وكثرت الأموال ، وضبطت الثغور »[٩]، و« رخصت الأسعار »[١٠]

---

(١) ابن طباطبا/الفخرى فى الآداب السلطانية ٣٥٠ - ٣٥١ ، المسعودى / مروج الذهب ٤/٢٧٥ .

(٢) ابن طباطبا/الفخرى فى الآداب السلطانية ٣٥٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٤/٢٩٢ .

(٣) حسن إبراهيم/تاريخ الإسلام السياسى والثقافى والدينى/٣/١٦ .

(٤) ابن طباطبا/الفخرى فى الآداب السلطانية /٣٤٩ . (٥) المصدر السابق .

(٦) ابن الأثير /الكامل فى التاريخ-٧/١٨٣ .

(٧) محمد الخضرى/محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية/٣٢٣ .

(٨) ابن طباطبا/الفخرى فى الآداب السلطانية/٣٤٩ . (٩) المصدر السابق .

(١٠) المسعودى/مروج الذهب/٤/٢٢١ .

To: www.al-mostafa.com

و« كانت أيامه طيبة كثيرة الرخاء »[1] ، وكان « قد أسقط المكوس »[2] ،

وهكذا نرى أن المعتضد قد ساعد على أن تستقر الحالة الاقتصادية .

الحالة السياسية :

«هابه الناس، ورهبوه أعظم رهبة لفرط غلبته »[3]، وقام « بإصلاح المتشعب فى مملكته »[4] و « سكنت الفتن ، وصلحت البلدان ، وارتفعت الحروب ، وسالمه كل مخالف»[5] . وكان « مظفراً ، دانت له الأُمور ، وانفتح له الشرق والغرب»[6] .

الحياة الفكرية :

كان الخلفاءُ يشجعون العلماء ، ويبجلونهم ، ويوفرون لهم أسباب الراحة الذهنية ؛ حتى يتيح لهم الاستقرار إنتاجاًفكرياً ، تزدهر به الدولة ويزهو به الخلفاءُ ، وكان علم المعلم هو المدعاة لاختياره ، ولكثرة تلاميذه ، ولاتساع حلقته . فهذا الزجاج قد ترك من شُهر اسمه وانتشر فى الآفاق ذكره « وهو ثعلب » ، ولزم خاملاً فى ذلك الوقت وهو المبرد ؛ لأنه كان يقول : « لست أقول بالذكر والخمول ولكنى أقول بالعلم والعمل »[7]

وقد كانت المناظرات شائعة فى ذلك الوقت ، فكتب المجالس كمجالس العلماء ، ومجالس ثعلب ، ومجالس الزجاجى ، زاخرة بهذه المناظرات ، وما جاء بالأشباه والنظائر يدلنا على أن هذه المناظرات كانت مجالاً لاختيار العلماء بعد اختبار علمى ، فهذا عبيد الله بن سليمان بن وهب قد جمع بين الزجاج وبين مناظره هارون الخالك وقال لهما : أريد أن أصطفى أفضلكما فى العلم »؛ فتناظرا بحضرته ، وانقطع هارون انقطاعاً قبيحاً ،

---

(١) حسن إبراهيم/تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى ٣/١٦ .

(٢) ابن طباطبا/الفخرى فى الآداب السلطانية/٣٢٢ .

(٣) حسن إبراهيم / تاريخ الإسلامى السياسى والدينى والثقافى/٣/١٦ .

(٤) ابن طباطبا / الفخرى فى الآداب السلطانية/٣٤٩ .

(٥) المسعودى / مروج الذهب / ٤/٢٣١ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) القفطى / إنباه الرواة / ٣ / ٢٥٠ .

فصرفه الوزير »[1] ، وسلم ابنه القاسم للزجاج ليعلمه . وهذا المعتضد ؛ قد ذُكر له كتاب جامع المنطق الذى عمله محبرة النديم ، فطلب من يفسره ، وبعث وزيره القاسم إلى أشهر علماء عصره : ثعلب ، والمبرد ، فقال ثعلب : « لست أعرف هذا »[2] ، وقال المبرد : « إنه كتاب طويل ، يحتاج إلى شغل وتعب ، وإن دفعتموه إلى صاحبى إبراهيم بن السرى : رجوت أن يفى بذلك »[3] ، فدفع إلى الزجاج ففكه ، واستحسنه المعتضد ، وجعل له رزقاً فى الندماء ، ورزقاً فى العلماء ، ورزقاً فى الفقهاء ؛ ثلثمائة دينار[4] ، ولم يخرج مما عمله الزجاج نسخة إلى أحد إلا إلى خزانة المعتضد ؛ وهذا أقصى ما يمكن أن يصل إليه تكريم العلماء . وهكذا صار الزجاج مع المعتضد يعلم أولاده[5] ، وهو بهذا قد بلغ منزلة لم يحظ بها أحد من البصريين منذ أمد طويل ، فقد ظل بلاط الخلفاء حكراً على رؤساء الطبقات الكوفية :

فهذا الكسائى رئيس الطبقة الكوفية ، قد استأثر ببلاط خليفتين من دون سيبويه العالم البصرى الجليل صاحب الكتاب ، إثر مناظرة انتصر فيها الخليفة العباسى لمعلمه الكوفى[6] ، وقد استخلف الكسائى علىٌّ بن الحسن الأحمر على أولاد الرشيد ، ولم يكن ذلك لعلم الأحمر[7] بل ليقطع الطريق على النحويين البصريين . ثم أتى من بعده أبو زكريا الفراء الذى أسند إليه المأمون مهمة تأديب ولديه[8] ، وجاء ثعلب ، وكان يعاصر المبرد ولم نسمع أن واحداً منهما قد لازم أبناء الخلفاء أو علمهم ؛ وإن كان المبرد قد دعى إلى بلاط المتوكل ؛ ليفسر له « وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون » أبالفتح أم بالكسر[9].

---

(١) أبو بكر الزبيدى / طبقات النحويين واللغويين / ١٦٨ . (٢) القفطى إنباه الرواة / ١٦٤/١ .

(٣) ابن النديم/الفهرست /٩٦ . (٤) ياقوت الحموى / معجم الأدباء / ١٤٩/١ .

(٥) ابن النديم / الفهرست / ٩٦ .

(٦) السيوطى / بغية الوعاة / ٣٦٦ ، ٣٦٦ ياقوت الحموى- معجم الأدباء /٢٢٧/١١ .

(٧) السيوطى / بغية الوعاة / ٣٣٤ . (٨) ابن خلكان / وفيات الأعيان/٢٠١/٢ .

(٩) القفطى / إنباه الرواة / ٢٤٣/٣ .

الزجـــــاج

الزجاج شخصية نحوية ، ظاهرة ، متميزة ، لمعت فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، وجذبت إليها أنظار الكبراء والوزراء والخلفاء ؛ بفضل تفوقها فى المجال العلمى . وكان مما لفتنى إليه ، ودعانى إلى تحقيق كتابه ؛ نبوغ ظهر مبكراً ، ونقُول تدل على علم غزير ، فحيثما وجدت مشكلة نحوية تحتاج إلى مناقشة ، وبرهنة ، وتدليل ؛ كانت آراؤه برسوخها ، وتعليل قائلها لرأيه بالأدلة والبراهين المنطقية : تسطع واضحة جلية ، سديدة ، حكيمة تنم على تمكن قائلها .

وفى كتب التفاسير يتردد اسمه ترديداً يبين منه مدى اهتمام المفسرين بآرائه ومناقشتها ؛ وهو فى أقواله يصدر عن علم وعن تتبع للقراءات . وكذلك فإن كثيراً من اللغويين استشهدوا بأقواله ؛ وفى كتبهم عنه نُقول يعز حصرها .

وهذه الشخصية جديرة بأن تختم بها طبقات النحويين البصريين ، وقد أسفت أن تكون هذه الشخصية بهذا الوضوح علماً ومعرفة ؛ ولا يعثر لها على كتاب فى النحو يضم آراءه المنتشرة فى كتب النحو والتفسير .

اسمه :

اتفقت جميع كتب التراجم والطبقات على : أن اسمه «إبراهيم» ، وكنيته «أبو إسحاق» ، ولقبه «الزجّاج» ، ثم اختلفت بعد ذلك ، فبعضها أثبت أن «محمداً» والده ، وبعضها أسقط هذا النسب ، وأثبت أن «السرى» والده ، وبعضها أثبت أن جده «سهل»[1] .

---

(١) أبو الطيب عبد الواحد اللغوى / مراتب النحويين / ١٣٦ خ تاريخ تيمور ١٤٢٥ ، أبو سعيد السيرافى / أخبار النحويين البصريين / ١٠٨ ، أبو بكر الزبيدى / طبقات النحويين واللغويين/١٢١ ، ابن النديم/الفهرست/٩٦ ، أبو بكر الخطيب / تاريخ بغداد ٦ / ٨٩ ، أبو البركات الأنبارى / نزهة الألباء / ٣٠٨ ، ياقوت الحموى / معجم الأدباء / ١ / ١٣٠ ، أبو الحسن القفطى / إنباه الرواة / ١٥٩/١ ، ابن خلكان / وفيات الأعيان ١ / ٣١ ، ابن مكتوم / تلخيص أخبار النحويين واللغويين / ٢٧ خ تاريخ تيمور ٢٠٦٩ ، عفيف الدين اليافعى / مرآة الجنان/٢ / ٢٦٢ ، أبو الفداء ابن كثير / البداية والنهاية فى التاريخ / ١١ / ١٤٨ ، أبو الفداء / تاريخ أبى الفداء / ٢ / ٧٦ ، ابن قاضى شهبة / طبقات النحاة واللغويين / ١ / ١٣٩ خ ١١٩٨٨ ، ابن تغرى بردى / النجوم الزاهرة ٣ / ٢٠٨ ، أبو المحاسن اليمنى الشافعى / إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين ٣/خ تاريخ ١٦١٢ ، السيوطى / بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ١٧٩ ، دائرة معارف البستانى ٧٧٨/١٠ .

وإن كنت أرجح أن اسمه أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج .

وقد ضبط صاحب اللباب لقبه وبين سبب تلقيبه به فقال : « الزجاج بفتح الزاى والجيم المشددة وفى آخرها جيم أخرى يقال هذا لمن يعمل الزجاج »[١].

بيئته :

لم تسعفنا كتب الطبقات بذكر مفصل عن مكان إقامته ، وكل ما نعرفه عنه هو ما أورده ياقوت الحموى « كان ينزل بالجانب الغربى من بغداد ؛ فى الموضع المعروف بالدويرة »[٢]. وابن قاضى شهبة قال : « نزيل الجانب الغربى من بغداد ، وبحرى العراق »[٣].

صناعته :

كان فى أول أمره يخرط الزجاج ؛ واستمر فى صناعته هذه فى أثناء فترة الدرس والتحصيل ؛ وكان يدفع لأستاذه المبرد أجر تعلمه من كسبه ؛ فقد كان يكسب كل يوم درهماً ودانقين أو درهماً ونصفاً ، وكان يعطى المبرد الدرهم يوميا ، حتى استطاع أن يدرس الكتاب[٤]

مولده ووفاته :

اتفقت كتب التراجم على أنه توفى ببغداد ، واتفقت على أن سنه عند الوفاة كانت الثمانين ؛ أو كما قالوا : «قد أناف على الثمانين» ولم يشذ منهم إلا جلال الدين السيوطى الذى قال إنه عقد لهم سبعين[٥] .

وتاريخ مولده يعتمد اعتماداً كلياً على سنه عند الوفاة وعلى تاريخ وفاته .

فإذا كان تاريخ وفاته ٣١٠ وسنه ثمانون يكون مولده عام ٢٣٠ هـ.

وإذا كان تاريخ وفاته ٣١١ وسنه ثمانون يكون مولده عام ٢٣١ هـ.

وإذا كان تاريخ وفاته ٣١٦ وسنه ثمانون يكون مولده عام ٢٣٦ هـ.

---

(١) عز الدين بن الأثير / اللباب فى تهذيب الأنساب / ١ / ٤٩٧ .

(٢) ياقوت الحموى/معجم الأدباء /١ / ١٤٧ .

(٣) ابن قاضى شهبة / طبقات النحاة واللغويين /١/ ١٤٠ .

(٤) انظر مراجع ترجمته .

(٥) السيوطى / بغية الوعاة / ١٨٠ .

ولعل مقابلته مع أستاذه المبرد تحسم لنا تاريخ مولده ؛ فالمبرد دخل بغداد بعد مقتل المتوكل سنة ٢٤٧ وقد تصدى الزجاج لمناقشته ، ولفض حلقته[١]، ولايعقل أن يُرسل حدث له من العمر أحد عشر عاماً لمناقشة المبرد ، وفض حلقته ، لذلك يجب أن يستبعد أنه توفى عام ٣١٦ وبالتالى ولد ٢٣٦ ، وأرجح أنه ولد ٢٣٠ وتوفى ٣١١ حتى يكون قد أناف على الثمانين . وعلى ذلك يكون قد تصدى لمناقشة المبرد وله من العمر سبعة عشر عاما .

الزجـاج والنحـو

دراسته للنحو الكوفى :

درس الزجّاج النحو الكوفى على ثعلب إمام الكوفيين ، ورئيس الطبقة الخامسة ، وأعلم علماء بغداد فى ذلك العصر ، وقد دأب فى تحصيل المعرفة ، وانقطع إليها ؛ حتى وصل إلى حد قال فيه عن نفسه : « كنت فى ابتداء أمرى قد نظرت فى علم الكوفيين وانقطعت إليه ؛ فاستكثرت منه حتى وقع لى أنى لم أترك منه شيئاً »[٢] . وهذا هو استقصاء الدارس المتعمق ، الفاحص ، المستكثر مما يقرأ ، وهو فى استيعابه لما يقرأه ، قد تحقق لديه الاكتفاء حتى قال « وأنى قد استغنيت به عن غيره »[٣] وقد وصل إلى هذا الحد وهو دون السابعة عشرة من عمره وهذا يعلمنا أى شخصية عبقرية فذة هو .

دراسته للنحو البصرى :

جاء فى كتب التراجم حدثنى الزجاج قال : « كنت أخرط الزجاج ، فاشتهيت النحو ؛ فلزمت المبرد لتعلمه »[٤] والزجاج كما سبق قد أخذ النحو الكوفى عن ثعلب ، وأرجح أنه قد سقطت كلمة « البصرى » فى النقل السابق بعد كلمة « النحو » فإن أضيفت يستقيم المعنى ؛ لأن الزجاج لم يتصل بالمبرد مباشرة ؛ بل كان فى أول أمره

---

(١) القفطى / إنباه الرواة / ٢٤٩/٢ ، ياقوت الحموى / معجم الأدباء ١٩ / ٢٥٠ .

(٢)،(٣) . أبو القاسم الزجاجى / مجالس العلماء / ١٦٤ .

(٤) الخطيب البغدادى / تاريخ بغداد / ٦ / ٩٠ .

تلميذ ثعلب ، وقد كافح الزجاج فى سبيل تحصيل النحو البصرى ، « فقد كان المبرد لايعلم مجاناً ولايعلم بأجرة إلا على قدرها »[١] ، وكان الزجاج يريد أن يبالغ المبرد فى تعليمه فشرط على نفسه أن يعطيه كل يوم درهماً من كسبه من صناعة الزجاج ، استغنى عن التعليم أو احتاج إليه ، وكان يخدمه فى أموره مع ذلك[٢] .

وهذا يبين إلى أى مدى وصلت به رغبته فى دراسة النحو البصرى .

الزجاج والمذهب البغدادى :

كثيرا مايتردد فى أسماعنا : أن المذهب البغدادى ما هو إلا خلاصة المذهبين : الكوفى ، والبصرى ، ما هو إلا أن يُختار أفضل مافى المذهبين من آراء ، ليخلص لنا مذهب تتركز فيه الآراء المختارة ، ولن نرى أقدر من الزجاج ولاأفضل منه مؤسساً للمذهب البغدادى ، وواضعاً نبتته الأُولى . فالزجاج قد جمع علم البصريين ، والكوفيين ، يضاف إلى هذا أن الزجاج قد ظهر فى عصر قل فيه إلى حد كبير التعصب للمدارس النحوية ، وقاربت المدرستان أن تمتزجا ، فإذا أضاف إلى ذلك آراء انفرد بها ؛ وضح أنه مؤسس المذهب البغدادى الذى أسلمه إلى تلاميذه شعلة علمية ينشرونها فيما يحلون به من أماكن فى المشرق والمغرب .

رياسة الزجاج للنحويين البصريين :

كانت هناك بضعة أحداث تقدم لرياسة أبى إسحاق خلفاً للمبرد ؛ فقد كان الزجاج أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه ، وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً مايريد أن يقرأه[٣] .

وبعد أن درس الزجاج كتاب سيبويه على المبرد ، وأتقنه ، ووعاه ، كان أبو العباس لايقرىء أحداً كتاب سيبويه حتى يقرأه على إبراهيم ويصحح به كتابه ، فكان ذلك أول رياسة أبى إسحاق الزجاج[٤] .

---

(١) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/١/١٢١ .
(٢) ابن النديم/الفهرست / ٩٦ .
(٣) القفطى / إنباه الرواة/١/١٥٩ .
(٤) القفطى/إنباه الرواة/٣/٢٥١ .

وحينما طُلب منه معلم نحوى لبعض بنى مارمة من الصراة أحال عليه[١] .

وحينما طُلب منه مؤدب للقاسم قصر معرفته على الزجاج[٢] .

وحينما طُلب المعتضد من يفسر كتاب « جامع المنطق » أحال المبرد على الزجاج[٣] .

وحينما قصد مبرمانُ ابنَ كيسان ليقرأ عليه كتاب سيبويه ، امتنع وقال : « اذهب به إلى أهله يشير بذلك إلى الزجاج »[٤] .

دراسته الادب :

الزجاج لم يمنعه انكبابه على دراسة النحو من دراسة الأدب ، بل حصل من ذلك كل ما يمكن تحصيله ، فأخذ « الأدب عن ثعلب ، والمبرد »[٥] ، و « روى عنهما »[٦] « واشتغل بالأدب ونسب إليه »[٧] ، وكان « من أهل العلم بالأدب »[٨] ، و « روى عنه على بن عبد بن المغيرة ، والجوهرى ، وغيرهما »[٩] .

وقلما يجتمع لراو أن يروى عن اثنين من أساطين الأدب ، كثعلب والمبرد ، فثعلب إلى جانب إمامته الكوفيين أديب ولغوى وراو ، والمبرد صاحب الكامل فى الأدب أحد أركان الأدب الأربعة كما قال ابن خلدون ، والزجاج وقد ألم بما لديهما من الأشعار والروايات ، فلا بد أن تكون حصيلته الأدبية حاوية لعلمهما ، ولذلك كان اختياره لتعليم أبناء الوزراء والخلفاء . فالزجاج لم يرتكز على عمق حصيلته النحوية فقط بل أتمها بحصيلته الأدبية .

شعره :

لم ينسب إليه قول الشعر اللهم إلا ما أورده ياقوت[١٠] قال :

قال ابن بشران . . . وأنشدت له [الزجاج] :

---

(١) الخطيب البغدادى/تاريخ بغداد/٦/٩٠ .
(٢) ابن الأنبارى/نزهة الألباء/٢١٠ .
(٣) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/١/١٤٩ .
(٤) أبو بكر الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين/١٧١ .
(٥) ابن خلكان / وفيات الأعيان / ١ / ٣٢ .
(٦) عز الدين بن الأثير/اللباب فى تهذيب الأنساب/١/٤٩٧ .
(٧) عفيف الدين اليافعى/مرآة الجنان/٢/٢٦٢ .
(٨)،(٩) عز الدين بن الأثير/اللباب فى تهذيب الأنساب/١/٤٩٧ .
(١٠) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/١/١٤٧ ، ابن قاضى شهبة/طبقات النحاة واللغويين/١/١٤٢ .

قعودى لايرد الرزق عنى ولايدنيه إن لم يقض شئ
قعدت فقد أتانى فى قعودى وسرت فعساقنى والسير لئ
فلما أن رأيت القصد أدنى إلى رشدى وأن الحرص غئ
تركت لمدلج دلج الليالى ولى ظل أعيش به وقئ

ويضاف إلى هذه الأبيات بيت واحد أورده الخطيب البغدادى[١]

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولاخير فى وجه إذا قل ماؤه

ونرى أن هذه الأبيات أقرب إلى شعر الحكم ، وهذا يتفق مع ورعه .

قدرته على الجدل والمناقشة :

أول من عرف فيه هذه القدرة ثعلب ؛ فأرسله ليفض حلقة المبرد ، وكان المبرد « فصيح اللسان ، ظاهر البيان »[٢] « خبيراً بمجالسة الملوك »[٣] .

وقد ناقشه الزجاج فى أربع عشرة مسألة[٤] على الرغم من حداثة سنه ، وأنه كان دون السابعة عشرة من عمره ، وكان الزجاج يقول عن نفسه : « وأنا عندى أننى إن ناظرته قطعته لاأشك فى ذلك »[٥] . وقد جاء « أن أبا موسى الحامض قد دس له رجلاً غريباً بمسائل يناقشه بها حتى يعجزه »[٦] لكن الزجاج فوت على الحامض الفرصة ، وأفسد عليه غرضه .

أخلاقه :

« كان من أهل الفضل »[٧] ، وماجاء فى قصته مع مسيند يدلنا على رجوعه[٨] إلى الحق وإطراح الباطل ، وماجاء فى قصته مع أبى موسى الحامض[٩] دليل على حلمه وسعة

---

(١) الخطيب البغدادى/تاريخ بغداد/٦/٩٣ ، ابن الأنبارى/نزهة الألباء/٣١١ .
(٢) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/١٩/٢٥٠ .
(٣ ، ٤) القفطى/إنباه الرواة/٣/٢٤٩ . (٥ ، ٦) أبو القاسم الزجاجى/مجالس العلماء/١٦٤ ، ٣٠٧/
(٧ ، ٨) الخطيب البغدادى/تاريخ بغداد/٦/٩٠-٩٢ . (٩) أبو القاسم الزجاجى/مجالس العلماء/٣٠٧

صدره . أما وفاؤه فشيمة ظاهرة تتضح بأجلى صورها فى علاقته بأساتذته : فهو لم يتنكر لثعلب بعد أن اعتزل دراسته بل كان يزوره[١] ، وكان يترحم عليه ، وحينما سمع بموته بكى[٢] . وهو بعد أن استغنى عن الدرس على المبرد كان يعطيه الدرهم كل يوم إلى أن مات[٣] ، وكان يتفقده بعد ذلك بما يقدر عليه ، وكان يخدمه فى أموره مع ذلك[٤] . وهو قد انتصر لسيبويه من ثعلب والحامض حينما هاجماه[٥] .

مذهبه فى الفقه وورعه :

وكان آخر ما سمع منه اللهم احشرنى على مذهب أحمد بن حنبل[٦] .

وكان يقول : « أكره أن أذكر ما قاله النحويون فى اسم الله تنزيهاً »[٧] ـ ومن ورعه ما جاء بشعره[٨] ، وما جاء من بكائه على ثعلب[٩] . ومن آراء القدامى فى ورعه « كان من أهل الفضل والدين »[١٠] ، « حسن العقيدة جميل الطريقة »[١١] ، « جميل المذهب »[١٢] ، « فاضلا دينا[١٣] » .

وقد قدره العلماء ومدحه الشعراء ، فهذا ثعلب قد قدمه على غيره من تلاميذه[١٤] .

وهذا المبرد قد قدره حق قدره[١٥] . وهذا المشوق الشاعر قد سجل سجاياه وأخلاقه نظماً عقب مجلس مناظرة فقال :

صبراً أبا إسحاق عن قدرة ... فلو النهى يمثل الصبرا
نبئت بالجامع كلباً لهم ... ينبح منك الشمس والبدرا

(١ ، ٢) ياقوت الحموى/معجم الأدباء ١٣٧/١ .
(٣) ابن قاضى شهبة/طبقات النحاة واللغويين ١٤٠/١ .
(٤) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/١٣٧/١ .
(٥) ياقوت الحموى / معجم الأدباء /١٣٦/١
(٦) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/١٣٠/١ .
(٧) إعراب القرآن ومعانيه للزجاج/٢٤٦/١ خ جامعة الدول العربية ، الاغفال لأبى على الفارسى/٢ خ/٦٩٩ .
(٨) انظر ص : ١٢ .
(٩) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/١٣٠/١ .
(١٠) الخطيب البغدادى/تاريخ بغداد/٨٩/٦ .
(١١) ابن الأنبارى/نزهة الالباء/٣٠٩ .
(١٢) الخطيب البغدادى/تاريخ بغداد/٨٩/٦ .
(١٣) ابن كثير /البداية والنهاية فى التاريخ/١٤٨/١١
(١٤) القفطى/إنباه الرواة /٢٤٩/٣ .
(١٥) انظرص : ١١ .

والعلم والحلم ومحض الحجى وشامخ الأطواد والبحرا
والديمة الوطفاء من سحها إذا الربا أضحت بها خضرا
فتلك أوصافك بين الورى يأبين والتيه لك الكبرا
فظن جهلاً والذى دسه أن يلمسوا العيوق والغفرا
فأرسلوا النزر إلى غامر وغمرنا يستوعب النزرا
فاله أبا إسحاق عن قدرة ولا تضق منك به الصدرا[١]

هذه بعض أبيات من قصيدة تجلى جوانب أخر من شخصية الزجاج وأخلاقه . وهناك تهمتان ألصقتا به وهما : حكاية جمعه المال والسبب فى غناه[٢] ، واتهامه بضعف اللغة[٣] . وتفنيدهما سهل بعد إيراد أخلاقه وورعه وتقدير العلماء له ومدح الشعراء إياه وما هما إلا افتراء حاسدين له ولما وصل إليه

أساتذته :

لم يكن الزجاج لحانة صحفياً ، بل كانت له صحبة ، وقراءة ، ودراسة ، ورواية ؛ فقد درس على أساتذة ثبت أخذه عنهم ، ومقابلته لهم ، ومناقشته لآرائهم ، ومجادلتهم ، بل ونقد آرائهم إذا رأى أن ذلك واجبه العلمى .

أستاذه الأول ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار النحوى الشيبانى (٢٠٠ ــ ٢٩١) هـ[٤] ، إمام الكوفيين فى النحو واللغة[٥] ، كان مشهوراً بالحفظ ، وصدق اللهجة ، والمعرفة بالغريب ، ورواية الشعر القديم[٦] .

وكان ثقة ، حجة صالحا دينا[٧] ؛ لذلك كان مقدماً عند الشيوخ ، موثوقاً بعلمه وبصحة نقله الغريب ؛ بل كان يقال فيه « ثعلب فاروق النحويين ، والمعاير على اللغويين

---

(١) أبو القاسم الزجاجى/مجالس العلماء/٢١١ .
(٢) الخطيب البغدادى/تاريخ بغداد/٦/٩٠ .
(٣) ابن النديم/الفهرست / ٩٦ .
(٤) القفطى/إنباه الرواة/١/١٣٨ .
(٥) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/٥/١٠٢ .
(٦) القفطى/إنباه الرواة/١/١٣٩ .
(٧) جلال الدين السيوطى/بغية الوعاة/١٧٣ .

من الكوفيين والبصريين »[١] . وجد الزجاج بغيته فى علم ثعلب فى مبدأ حياته فأخذ عنه النحو الكوفى واستكثر[٢] ، وأخذ عنه الأدب ، واللغة والشعر ، وروى عنه[٣] .

وأستاذه الثانى المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر . (٢١٠ـ ٢٨٥) هـ[٤] ، كان من العلم ، وغزارة الأدب ، وكثرة الحفظ ، وحسن الإشارة وفصاحة اللسان ، وبراعة البيان ، وبلاغة المكاتبة ، وحلاوة المخاطبة ، وجودة الخط ، وصحة العزيمة ، وقرب الإفهام ، ووضوح الشرح ، وعذوبة المنطق ، على ماليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه[٥] ، وكان حسن المحاضرة ، فصيحاً ، لبقاً ، بليغاً ، كثير النوادر[٦] .

الزجاج قد جادل المبرد ، وناقشه[٧] ، وحينما رأى حسن إجابته ، وسداد رأيه ، وقوة حجته ، قال : فاستيقنت فضله ، واسترجحت عقله »[٨] ، وكدأبه دائماً ،دعاه حبه للعلم أن قال لأصحابه : «عودوا إلى الشيخ [يعنى ثعلبا] ، فلست مفارقاً هذا الرجل ولابد من ملازمته والأخذ عنه »[٩] .

وهكذا تتلمذ الزجاج على الشخصية النحوية الثانية فى الترتيب الزمنى ، والأولى فى التأثير فى حياته العلمية . فقد أخذ عنه النحو البصرى[١٠] ، ودرس عليه الأدب[١١] وكان الزجاج يقدر فضل المبرد عليه[١٢] .

وهناك شخصية كان لها أكبر الأثر فى حياة الزجاج العلمية وهو سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بنى الحارث بن كعب بن عمرو (٢٤٧ ـ ٢٨٠) هـ[١٣] .

---

(١) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/٥/١٤٠ .
(٢) انظر ص : ٩
(٣) انظر ص : ٩
(٤) القفطى/انباه الرواه/٣/٢٤١ .
(٥) أبو بكر الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين/١٠٩ .
(٦) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/١٩/٢٥٠ .
(٧) ياقوت الحموى / معجم الأدباء / ١٩/٢٥٠ ، القفطى / إنباه الرواه ٣/٢٤٩ .
(٨) المصدر السابق .
(٩) أبو بكر الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين/١١٩.
(١٠) انظر ص : ١٠
(١١) انظرص : ١١ .
(١٢) انظر ص : ١٠
(١٣) أبو بكر الزبيدى /طبقات النحويين واللغويين/٦٦ .

تأثر الزجاج بسيبويه وكان الطريق إلى ذلك كتابه الذى درسه على المبرد ، وكافح فى سبيل ذلك كثيراً[١] . وقد نهل الزجاج من ذلك المرتوى وغاص فى أعماقه يجلى مسائله ويعى ما فيه ؛ حتى أتقنه وبرع فى تدريسه[٢] . وحتى صار يقول عن نفسه : « إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة[٣] » ، وحتى صار المبرمان يقرأ كتاب سيبويه على المبرد ثم يقول « قال الزجاج »[٤] .

تلاميذه :

كان الزجاج النحوى ، العروضى ، الاشتقاقى ، صاحب التفسير ، وصاحب أهلية تدريس الكتاب ؛ جديراً بالزعامة التعليمية . فقد كان وحده مدرسة علمية ، وبحراً زاخرا بالمعرفة ؛ ارتوى منه تلاميذه وبلغ عدد من شهروا منهم ستة عشر تلميذاً كلهم نابه له شأن وأى شأن . وقد تنقل هؤلاء التلاميذ فى مختلف البلدان ونشروا فى الآفاق ثقافة الزجاج الفكرية ، وعلمه الوفير ، ومذهبه النحوى[٥] . وإن كثرة تلاميذه وعلو شأنهم ، وارتفاع ذكرهم ؛ يدلنا على مبلغ إخلاص المعلم فى تدريس ما نصب نفسه لأجله ، وما أخذه على عاتقه من تفان فى سبيل العلم . وقد تقاسم تلاميذه علمه فحظى كل منهم بقدر ؛ وبهذا القدر شهر ؛ فكيف بمن جمع علم كل هؤلاء ! وسأقصر عرضى على المشهورين فقط .

١ — أبو بكر محمد بن السرى بن سهل بن السراج البغدادى النحوى (٠٠—٣١٦)هـ[٦] كان أحد العلماء المذكورين بالأدب ، وعلم العربية[٧] ، ويقال « مازال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله »[٨] سئل عن مسألة بحضرة الزجاج فأخطأ فى جوابها فوبخه الزجاج ، وقال . مثلك يخطئ فى مثل هذه المسألة[٩] ؟

---

(١) انظر ص : ١٠
(٢) انظر ص : ١١
(٣) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/٣/٢ .
(٤) أبو بكر الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين/١٧٣ .
(٥) انظر ص : ١٠
(٦) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/١٨/١٩٧ .
(٧) القفطى/انباه الرواه/٣/٤٥ .
(٨) السيوطى/بغية الوعاة/١/٤٤ .
(٩) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/١٨/١٩٧ .

٢ – أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد ولاَّد النحوى التميمى المصرى (٠٠٠ – ٣٣٢)[١] . كان بصيرًا بالنحو ، أستاذًا فيه[٢] ، وكان نحوى مصر وفاضلها[٣] ، أتقن الكتاب على الزجاج وفهمه[٤] .

٣ – أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى (٠٠ – ٣٣٩) هـ. برع فى النحو[٥] وكتابه « الجمل » فى النحو هو كتاب المصريين وأهل المغرب وأهل الحجاز واليمن والشام[٦] قرأ النحو على الزجاج[٧] ، وأملى وحدّث عنه بدمشق[٨] وهو منسوب إلى شيخه إبراهيم الزجاج[٩] . ونسبته هذه كانت ومازالت مدعاة للخلط بين الشخصيتين فكثيرًا ما ينسب خطأ إلى التلميذ بعض كتب أستاذه أو آرائه وصحة ذلك أن أبا إسحاق هو الزجاج وأن أبا القاسم هو الزجاجى .

٤ – أبو على الحسن بن على بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان الفارسى (٠٠٠–٣٧٧)[١٠] كان واحد زمانه فى علم العربية أخذ النحو عن جماعة من أعيان هذا الشأن كأبى إسحاق الزجاج[١١] وألف « الايضاح » وهو المسائل المصلحة على الزجاج فى كتابه « إعراب القرآن ومعانيه » .

٥ – أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس (٠٠٠–٣٨٠)[١٢] هـ كان واسع العلم غزير الرواية كثير التأليف »[١٣] وكان عالماً بالنحو حاذقًا[١٤] سمع من الزجاج وأخذ عنه النحو وأكثر[١٥] ، ومن أكبر حسناته أنه روى عنه كتاب ماينصرف ومالا ينصرف . وقد روى عنه كثيرًا فى كتابه إعراب القرآن . وقد كون ابن ولاد وابن النحاس مدرسة نحوية بمصر درسا فيها آراءهما وما هى إلا امتداد لآراء الزجاج البغدادية .

---

(١) القفطى/انباه الرواه/١/٩٩ .
(٢) السيوطى/بغية الوعاة/١٦٩ .
(٥) السيوطى/بغية الوعاة/٢٩٧ .
(٨) السيوطى/بغية الوعاة/٢٩٧ .
(٩) السيوطى/بغية الوعاة/٢٩٧ .
(١٢) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/٤/٢٢٤ .
(١٥،١٤) القفطى/إنباه الرواه /١/١٠٢،١٠٤ .

(٣ ، ٤) القفطى/إنباه الرواه/١/٩٩ .
(٦ ، ٧) القفطى/إنباه الرواه/٢/١٦٠ .

(١١،١٠) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/٧/٢٣٢ .
(١٣) أبو بكر الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين/٢٣٩.

٦ – أبو على إسماعيل بن عيذون بن هارون القالى ثم البغدادى (٠٠٠ – ٣٥٦)[١]، كان أحفظ أهل زمانه للغة وأرواهم للشعر وأحفظهم له وأعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين وأكثرهم تدقيقًا فيه[٢] . قرأ على الزجاج[٣] .

٧ – أبو الحسن على بن عيسى بن على بن عبد الله الرمانى وكان يعرف أيضًا بالإخشيدى وبالوراق[٤] كان إمامًا فى العربية علامة فى الأدب[٥] ، وكان يمزج كلامه فى النحو بالمنطق[٦] . أخذ عن الزجاج ، وله كتاب « شرح معانى الزجاج »[٧] .

٨ – أبو بكر محمد بن على بن إسماعيل العسكرى المعروف بميرمان(٣٤٥) هـ[٨] كان إمامًا فى النحو قيماً به[٩] . كان الميرمان يقرأ الكتاب على المبرد ثم يقول : قال الزجاج[١٠] .

٩ – أبو على الحسن بن عبد الله الأصبهانى المعروف بلكنة ، ويقال لغذة[١١] ، كان إمامًا فى النحو واللغة[١٢] ، كان يحضر مجلس أبى إسحاق ويكتب عنه ثم خالفه وقعد عنه وجعل ينقض عليه مايمليه[١٣] .

١٠ – أبو بكر محمد بن على المراغى النحوى . قرأ على أبى إسحاق إبراهيم الزجاج[١٤] .

١١ – أبو النضر المصرى محمد بن إسحاق بن أسباط الكندى[١٥] كان شيخ أهل الأدب ، له تقدم فى المنطق وعلوم الأوائل[١٦] ، أخذ عن الزجاج[١٧] .

١٢ – أبو عبد الله محمد بن عيسى العمانى النحوى[١٨] . أخذ عن الزجاج كتاب « فعلت وأفعلت[١٩] » .

(١ ، ٢) أبو بكر الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين/١٢٥ .
(٣) معجم الأدباء /٧/٢٧ .
(٤ ، ٥) السيوطى/بغية الوعاة/٣٤٤ .
(٦ ، ٧) ياقوت/معجم الأدباء/١٤/٧٤
(٨) السيوطى/بغية الوعاة ٧٤ .
(٩) ياقوت الحموى/معجم الأدباء /١٤/٢٥٥ .
(١٠) أبو بكر الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين/١٢٥ .
(١١) السيوطى/بغية الوعاة/٢٢٢ .
(١٢،١٣) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/٨/١٣٩ ، ١٤٠ .
(١٤) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/١٨/٢٦٣ .
(١٥) ياقوت الحموى/معجم الأدباء /١٨/١٤ .
(١٦) السيوطى/بغية الوعاة/٢١ .
(١٧) أبو بكر الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين /٢٤١
(١٨) السيوطى/بغية الوعاة/٨٨ .
(١٩) ياقوت الحموى/٤/٢٣٣ .

١٣ – أبو جعفر محمد بن سعيد البصير الموصلي العروضي النحوي[١] ،كان ذكيًا فهمًا له فى الشعر رتبة عالية ، إمامًا فى استخراج المعمى والعروض ، وكان فى النحو ذا قدم سابقة[٢] سأله الزجاج يومًا عن أشياء من العروض ثم قال له: يا أبا جعفر لو رآك الخليل لفرح بك[٣] .

١٤ – أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد العروضى[٤] كان إمامًا فى علم العروض[٥] عمل كتابًا كبيرًا وحشاه بما قد ذكر أكثره ، ونقل كلام أبى إسحاق وزاد فيه شيئًا قليلاً[٦] .

١٥ – أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى النحوى الكاتب (٣٧١) هـ[٧] . أخذ عن الزجاج[٨] .

١٦ – أبو العباس محمد بن أحمد المعمرى (– ٣٥٠) هـ[٩] أحد شيوخ النحاة ومشهوريهم صحب الزجاج وأخذ عنه[١٠] .

معاصروه من غير شيوخه وتلاميذه :

إن كثرة معاصرى الزجاج لتدلنا على مبلغ ماوصلت إليه الثقافة فى ذلك العصر، وتدلنا نباهة شأن الزجاج وعلوّ مكانته وتفوقه على كل هؤلاء أنه كان شخصية علمية ذات كفاية ممتازة ،فاقت أقرانها وبزت أترابها .

وقد شهد له الجميع فقدموه على أنفسهم بعد أن قدمه أساتذته على زملاء حلقته .

– أبو الحسن محمد بن كيسان(– ٣٢٠) هـ ، كان بصريًا كوفيًا يحفظ القولين ويعرف المذهبين[١١] ، وكان يقال إنه أنحى من الشيخين، [أى ثعلب والمبرد][١٢]، قصده المبرمان ليقرأ عليه الكتاب فقال له اذهب به إلى أهله ، يشير بذلك إلى الزجاج[١٣] .

(١، ٢، ٣) السيوطى/بغية الوعاة/٤٦ .
(٤ ، ٥) ياقوت الحموى/معجم الأدباء /٤/٢٣٣ .
(٦) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/٤/٢٣٣ .
(٧ ، ٨) السيوطى/بغية الوعاة/٢١٨ .
(٩) السيوطى/بغية الوعاة/٢٠ .
(١٠) ياقوت/معجم الأدباء /١٧٤ .
(١١) أبو بكر الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين/١٧٠ .
(١٢، ١٣) القفطى/إنباه الرواه/٢/٥٧ – ٥٩ .

ـ أبو على إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح الصفار (ـ ٣٠١) هـ [١] علامة بالنحو واللغة صحب المبرد صحبة اشتهر بها ، وروى عنه[٢] .

ـ أبو سليمان بن محمد بن أحمد المعروف بالحامض البغدادى (ـ ٣٠٥) هـ أحد أئمة النحاة الكوفيين[٣] كان بارعًا فى اللغة والنحو على مذهب الكوفيين[٤] خلط النحويين[٥].

ـ إبراهيم بن محمد الكلابزى (ـ ٣١٢) هـ بصرى المذهب متقدم فى النحو واللغة[٦] .

ـ أبو بكر محمد بن أحمد بن منصور بن الخياط[٧] كان يخلط المذهبين[٨] وناظر الزجاج[٩] .

ـ محمد بن محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفسوى (ـ ٣٤٧)هـ قرأ الكتاب على المبرد[١٠] نسب للزجاج حكاية جمعه المال من طريق غير مشروع[١١].

ـ أبو الصقر أحمد بن الفضل بن شيانة الكاتب النحوى الهمذانى (ـ ٣٥٠) هـ كان يلقب بساسى دوير ، روى عن ثعلب والمبرد[١٢] .

ـ هارون بن الحائك الضرير النحوى[١٣] ، من أعيان أصحاب ثعلب وكان معدودًا فى طبقته[١٤] وكان يوزن بميزان ثعلب فى النحو ، كوفى المذهب[١٥]، جمع الوزير عبيد الله ابن سليمان بينه وبين الزجاج ليختار أفضلهما فى العلم[١٦] ، واختار الزجاج ؛ بعد انقطاع هارون فى المناظرة[١٧]؛ لتأديب ولده .

---

(١) السيوطى/ بغية الوعاة/١٥٨ .
(٢) ياقوت/معجم الأدباء/١١/٢٥٣ .
(٣) السيوطى/بغية الوعاة/١٦٣ .
(٤) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/٢/٣ .
(٥) القفطى/انباه الرواه/٣/٥٤ .
(٦) الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين/١٢٧ .
(٧) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/٤/٩٨ .
(٨) ياقوت الحموى/معجم الأدباء/١٩/٢٦١ .
(٩) الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين/١٦٩ .
(١٠) ياقوت/معجم الأدباء/٧/٣٣ .
(١١) القفطى/انباه الرواه/٣/٢٤١ .
(١٢) السيوطى/بغية الوعاة/١٩ .
(١٣) السيوطى/بغية الوعاة/١٩ .
(١٤) البغدادى/تاريخ بغداد/٦/٩٠ .
(١٥) السيوطى/بغية الوعاة/٥/٤٠ .
(١٦) الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين/١٦٨ .
(١٧) ياقوت الحموى/معجم الأدباء /١٩/٢٦١ .

مكتبة الزجاج الثقافية :

للزجاج مكتبة ثقافية قد شارك فيها بالدراسات القرآنية ، والدراسات النحوية ، والدراسات اللغوية ، والدراسات الشعرية ، فلا نجد مجالاً من مجالات البحث والتنقيب فى فروع العربية إلا والزجاج قد أسهم فيه بنشاط فكرى :

١ ـ فى مجال الدراسات القرآنية أسهم بكتابه إعراب القرآن ومعانيه .

ذكره كل من ترجموا للزجاج ، وكان يعرف به أحيانًا فيقال : صاحب كتاب معانى القرآن . والكتاب مازال مخطوطًا ليس لدينا منه نسخة كاملة بل توجد منه قطع متناثرات . فيوجد منه بجامعة الدول العربية القطع من ٢٤٦ تفسير إلى ٢٥٢ تفسير . وبيانها كالآتى :

ـ القطعة ٢٤٦ تبدأ بأول القرآن وتنتهى بآية «هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم» من سورة المائدة، والنسخة مكتوبة بخط قديم قليل الإعجام وتقع فى ١٣٤ ورقة وبها خرم .

ـ ٢٤٧ تبدأ بأول القرآن وتنتهى بآية «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» من سورة المائدة وخطها خط القرن السابع وتقع فى ١٦٣ ورقة .

ـ ٢٤٨ تبدأ بقوله تعالى : «وإلى عاد أخاهم هودا» من سورة الأعراف وتنتهى بآية «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا» آخر سورة الكهف وتقع فى ١٧١ ورقة مكتوبة بقلم نسخ جميل مشكول .

ـ ٢٤٩ تبدأ من أول سورة مريم وتنتهى بآخر سورة فاطر تقع فى ٨٣ ورقة وكتبت بقلم تعليق نفيس .

ـ ٢٥٠ تبدأ من أول سورة طه وتنتهى بسورة قل أعوذ برب الفلق وتقع فى ٢٢٩ ورقة مكتوبة بقلم نسخ نفيس جدًا .

ـ ٢٥١ تبدأ بسورة الرعد وتنتهى بآية «سلام قولا من رب رحيم» من سورة يس ، تقع فى ١٨١ ورقة .

ـ ٢٥٢ تبدأ بسورة يس وتنتهى بسورة التين وتقع فى ٢٠١ ورقة مكتوبة بخط نسخ جميل .

وتوجد قطعة أخرى بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١ تفسير م ، تبدأ من أول سورة النساء وتنتهى بسورة هود وتقع فى ٢١٢ ورقة .

والزجاج فى كتابه يعرض الآراء البصرية والقراءات البصرية ، والآراء الكوفية والقراءات الكوفية ، ويعلق مفندًا لما يقول معللاً لما يراه . وهو فى ذلك يصدر عن علم الدارس للمذهبين ، المتمكن منهما ، وإن كان ميله إلى البصريين يبدو واضحًا وتظهر سماته التى شُهِرَ بها وهى الاشتقاق واللغويات منذ الوهلة الأُولى .

٢ ـ وشارك فى الدراسات اللغوية : بكتابه « فعلت وأفعلت » .

ذكرته أكثر المراجع التى ترجمت للزجاج ، طبع طبعتين الأُولى سنة ١٩١٣ فى مجموعة الطرف الأدبية لطلاب العلوم العربية بتحقيق ونشر محمد أمين الخانجى .

والثانية سنة ١٩٤٩ بتحقيق الأُستاذ عبد المنعم خفاجى وناشره على خربوش بالمطبعة النموذجية .

ومقدمته التى أوردها المؤلف تنم على طبيعة الكتاب وطبيعة الزجاج المعجمية إذ يقول : « وهو مصنف مبوب على حروف المعجم فأول باب فيه الباء وآخر باب فيه ما أوله الهمزة ويسميه الناس الألف » ويورد سبب تصنيفه فيقول « ألفناه ليسهل التماسه على طالبه وإذا جاء شىء أوله الباء طلبه فى بابه وكذلك سائر الحروف » .

وهكذا نجد أن الزجاج من أوائل من ألفوا المعاجم اللغوية .

٣ ـ وأيضًا ألف كتابه «خلق الإنسان» أغفل ذكره حاجى خليفة فى كتابه كشف الظنون ، وذكره غالبية من ترجموا للزجاج ، وهو كتاب مازال مخطوطًا . بين فى مقدمته أيضًا سبب تصنيفه فقال « هذا كتاب نذكر فيه أعضاء الإنسان وصفاته على ماسمت العرب. وهو موجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١ لغة ، يقع فى ٣٠ ورقة ، وقد سها من رقم

النسخة عن صفحتين ، وبالدار نسخة أخرى تقع فى ١٢ ورقة وهى الكتاب الثالث من مجلد تحت رقم ٢٣٤ مجاميع وكتابه مرتب أيضًا يبدأ من جلدة الرأس ويتدرج بعد ذلك بذكر باقى أعضاء جسم الإنسان .

٤ ـ خلق الفرس : ذكره بعض من ترجم للزجاج ولم يصل إلينا . .

٥ ـ نقد الزجاج لفصيح ثعلب، وقد أسماه بعض من ترجم للزجاج باسم المؤاخذات على فصيح ثعلب ،وقد أسقطه كثير ممن ترجموا للزجاج. والكتاب وجدته مخطوطًا فى أربع صفحات تحت رقم ٢١ نحو ش بدار الكتب المصرية ضمن مجلد وقد عثرت عليه أيضًا فى كتاب المزهر للسيوطى ٢٠١/١ ، وفى معجم الأدباء ١٣٠/١ فى ثنايا ترجمة الزجاج وقد بين ياقوت المناسبة والأسباب التى دعت الزجاج إلى تعقب أستاذه الكوفى اللغوى وتبيان خطئه فى فصيحه الذى عكف عليه الناس واعتنوا به فشرحوه وعلقوا عليه وذيلوا عليه ونظموه ، ولكن الزجاج ذا الحس اللغوى المرهف تعقبه فى مواضع حتى سئمه ثعلب وأنكر أن يكون له .

٦ ـ وألف الزجاج فى الاشتقاق كتابًا، وذكر هذا كثير ممن ترجموا للزجاج ولم يصل إلينا هذا الكتاب وإن كانت قد وصلت بعض آراء وتندرات ونتف عن مذهبه فى الاشتقاق. وعن طريقته وأغمط حق هذا الرجل ، فحقق كتاب ابن دريد ووصف بأنه أول من ألف فى الاشتقاق وكان جديرًا بمن ذكر ذلك أن يذكر فضل الزجاج على الاشتقاق وسبقه فى هذا الميدان. فقارئ أىٍّ من كتبه يطالعه مذهبه واشتقاقاته التى سلم له بها كثير من اللغويين واستشهدوا بها .

٧ ، ٨ ـ وشارك فى الدراسات الشعرية بكتابين :

ـ كتاب العروض ذكره كثير ممن ترجموا للزجاج ضمن مؤلفاته ولكنه لم يصل إلينا، وكذلك لم يصل إلينا كتابه فى القوافى وإن كان ابن سيده فى مخصصه ٥٦/١٧ قد ذكر له بعض آراء فى العروض والقوافى .

٩ ـ وألف كتابًا فى الأنواء، ذكره كثير ممن ترجموا للزجاج ولكنه لم يصل إلينا وإن كان ابن مكى الصقلى قد نقل عنه فى كتابه تثقيف اللسان :١١١ ونقل عنه صاحب الخزانة ١ : ١١ ، ٣٦٩ .

١٠ ـ وألف كتابًا فى النوادر المفيدة لم يصلنا .

١١ ـ وألف كتابَ مافسر من جامع المنطق،وقد ذكره أكثر من ترجموا للزجاج وذكروا قصته مع المعتضد ، ولكنه لم يصل إلينا على الرغم من شهرته .

١٢ ـ أمالى الزجاج أول من ذكر أن له كتاب أمال هو ابن خلكان ووصفها بأنها ثلاث : كبرى ووسطى وصغرى ونقل عنه فى المزهر للسيوطى ٤٠٩/١ ،وكذلك نقل عنه ابن مكى الأندلسى فى كتابه المخطوط مشكل إعراب القرآن ٦/١ .

١٣ ـ وكتاب اسمه حروف المعانى، لم يذكره أحد ممن ترجموا للزجاج وذكره بروكلمان فى كتابه تاريخ الأدب العربى ١٧٣/٢ ضمن مؤلفات الزجاج كما نسبه أيضا للزجاجى بجميع بياناته . وبياناته هى : لا للى ٣٧٤٠ رقم ٧ .

١٤ ـ وله كتاب « الإبانة والتفهيم عن معانى بسم الله الرحمن الرحيم » لم يذكره أحد ممن ترجم للزجاج من الأقدمين ، وذكره بروكلمان وذكر أنه موجود فى مكتبة جوتا تحت رقم ٧٢٧، وذكرت فهارس دار الكتب أنه موجود بها تحت رقم ٦٧ نحو ش. وبالاطلاع عليه وجدت أنه عبارة عن الصفحة الأخيرة من المجلد وهذه الصفحة لاتتم على الكتاب وإن كنت قد وجدت بالمجلد نفسه رسالة نسبتها الفهارس إلى الزجاجى وهى من ص١ : ١٥ وأرجح أنها هى المقصودة . وربما يضاف هذا إلى دراساته القرآنية .

وشارك فى الدراسات النحوية بالكتب الآتية :

١٥ ـ كتاب مختصر فى النحو : كان يمكن أن نتعرف من كتابه هذا على آرائه تلك التى استشهد بها النحويون فى كتبهم وناقشوها وأيدوا بعضها ونقضوه فى بعض ؛ إلا أن هذا الكتاب لم يصل إلينا ولم يشر إليه النحويون فى مناقشتهم لآراء الزجاج وقد ذكره أكثر من ترجموا للزجاج .

١٦ ـ كتاب شرح أبيات سيبويه . ذكره كثر ممن ترجموا للزجاج ولكنه لم يصل إلينا .

١٧ ـ كتاب الفرق : ذكره كثير ممن ترجموا للزجاج ولم يصلنا .

١٨ ـ كتاب المقصور والممدود : لم يصلنا . ذكره أكثر من ترجموا للزجاج .

١٩ ـ كتاب الشجرة المسمى بكتاب التقريب : لم يذكره القدامى ممن ترجموا للزجاج وإن كان ابن هشام قد نقل عنه فى مغنى اللبيب تحت كلمة « جلل » . وذكر بروكلمان بياناته وهى : Bull de Corr A. F. R. 1884,186,50

ـ وهناك كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج وقد حققه الأستاذ الإبيارى وفى ص ١٠٩٨ وما بعدها ذهب الأستاذ المحقق إلى نفى نسبته عن الزجاج وإثباته إلى صاحبه وربما يضاف إلى الأسباب التى تنفى هذا الكتاب عن الزجاج أن شيئا من خصائصه التعبيريه ولوازمه الشخصية التى تتضح فى كتبه وتميزها عن غيرها لاتبدو فى هذا الكتاب .

٢٠ ـ كتاب ماينصرف ومالاينصرف، وهو الكتاب الذى أتيحت لى فرصة القيام بتحقيقه، وتتضح فى هذا الكتاب خصائص الزجاج، ويبين نهجه فى التأليف فيما يلى :

ـ أنه قد جعل لكتابه هذا مقدمة : ٢ ، قال فيها « ونحن نبين ماينصرف وما لاينصرف مختصرًا ونملى منه القصد وقدر الحاجة إلا أنا استقصينا شرح الأصل ليستدل به على كل الفروع . . »

ـ وهو فى كتابه يورد آراء النحويين فى المسألة التى يبحثها فيعرض لآراء سابقيه

ـ وهو فى عرضه لآراء النحويين تتضح لديه نزعة تيسير وشرح لما غمض من كلامهم أو تصويبه، وهو فى كل ذلك ينزع إلى التأدب فى تصويب ما يراه فيقول ، وهذا كأنه شرح لمذهب سيبويه، أو وحقيقة ماقال سيبويه ٤١ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١١٢ .

ـ ونراه كثيرا مايستحسن الآراء ويختار منها ومايراه صوابًا فتبدو شخصيته النحوية متميزة فى اختياره للآراء واتباع من سبقه ففى صفحات ٨ ، ٢٣ ، ٢٩ ، نراه

يقول « وهذا القول هو الذى أختار» أو « كلاهما عندى مذهب» أو " فهذا إجماعهم والذى أراه ... "

فمن هذه الأمثلة نتبين أنه فى اختياره يصدر عن اقتناع بالرأى الذى اتبعه .

والآراء التى ينفرد بها نراه يعلل لها بالاستدلال المنطقى أو القياسى ٣٧ ، ٤٧ ، ٦٩

وظاهرة تفصيل المجمل وتصنيفه تتضح فى طريقة عرضه لمفردات وجزئيات مسائله.

أما ظاهرة اهتمامه بالاشتقاق فتبدو واضحة فى إيراده لكلمة الاشتقاق اثنتين وعشرين مرة على الرغم من صغر حجم الكتاب .

وشرحه اللغوى للكلمات يبدو فى فهرس الكلمات اللغوية التى شرحها الزجاج .

أهمية ما لا ينصرف فى الحياة الحضارية:

هذا الكتاب يبحث فى موضوع ما ينصرف وما لا ينصرف وهذا الموضوع يحظى بعناية النحويين منذ ألفوا كتباً فى النحو فلا نجد كتاباً فى النحو إلا وباب ما ينصرف ومالا ينصرف ينتظم منه صفحات تقل أو تكثر تبعاً لاهتمام المؤلف بهذا الباب .

بل إننا نرى أن بعضهم قد اهتم به اهتماماً بالغاً حتى أفرده بكتاب مستقل ،فنحن نرى أنه يقع من كتاب سيبويه فى ٦٨ صفحة من ٦٨/١ من الجزء الثانى .

ومن الكتاب المقتضب للمبرد يقع فى سبع وسبعين صفحة من ٣٨٦/٣٠٩ من القسم الثالث .

وقد اهتم به ثعلب حتى أفرده بكتاب باسم ما يجرى وما لا يجرى وهذا الكتاب لانعلم عنه شيئاً اللهم إلا ما ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون عنه .

وقد أفرده الزجاج أيضاً بهذا الكتاب وهو يقع فى ١٠٠ ورقة أى ٢٠٠ صفحة من الحجم المتوسط .

ويقع من كتاب الإيضاح للفارسى من ٥٨/٥٤ .

ويقع من كتاب الجمل للزجاجى من ٢٣٢/٢٢٤ .

ويقع من كتاب أسرار العربية لابن الأنبارى من ٣١٤/٣٠٧ .

ويقع من شرح الكافية جـ ١ من ٣٥/٧٠ ، ويقع من شرح المفصل جـ ١ من ٥٦/٧١ ، ومن شرح التصريح جـ ٢ من ٢٠٩/٢٢٩ .

وهذا يؤيد مدى اهتمام النحويين بهذا الباب؛ فقد رأوا أنه يرتبط بالحياة اليومية فنحن باحتكاكنا بالحضارات نحس بحاجتنا إلى هذا الباب. فى حياتنا اليومية تخلق لنا احتياجات استعمالية لكلمات نحاول أن نخضعها للغتنا العربية .

فالذى أنشأ الحاجة إلى باب ما لا ينصرف هو الاحتكاك الحضارى، وتزداد هذه الحاجة إلى المصطلحات التى تتمشى وهذه الحضارة .

فنحن نرى أن الأمثلة التى كان يسوقها النحويون الأقدمون ليست أمثلة فرضية لا يؤيدها شىء من الواقع . والدليل على ذلك ما نحتاج إليه الآن من استحداث كلمات واستعمالات يومية ، فنرى أمامنا أمثلة لا يعيننا على النطق بها ومعرفة إعرابها إلا قياسها على تلك الأمثلة الفرضية .

فمثلا كان النحويون يقولون « لو سميت رجلا بـ «الباء» من « ضرب » كيف تنطق به ثم تتوالى فى ذلك المثال الفرضى آراء .

وقد تحقق ذلك المثال الفرضى اليوم فى استعمالاتنا فنحن نرى أن هناك « ق » من قطاع و « ع » من عام و « ش » من شركة .
فكيف إذاً يمكن لنا أن ننطق بها إذا لم نقسه على تلك الأمثلة .

ومثلا نراهم يقولون كيف تنطق إذا سميت رجلا بمثال فاعل ولا ضمير فيه وذلك موجود الآن فهناك كلمة « شاهر ».

ومثلا نراهم يقولون إذا سميت رجلا بخمسة عشر واليوم توجد سيارات عامة بهذه الأرقام، بل الأشخاص فى الجيش ينادون ويسمون بأرقامهم. والتسمية بالجار والمجرور فهناك برنامج « بالسلامة » أو « مع النقاد » ، أو بفعل وفاعل مثل طريقة « اخدم نفسك » وسلسلة « أقرأ » .

فنحن إذا فى تغيرنا الحضارى قد وجدت لنا استعمالات حديثة ما كان لنا أن نتعرف على كيفية نطقها ما لم نقسها على الأمثلة التى افترضها النحاة وأخضعوها لباب ما لا ينصرف .

وصف النسخة :

أصل هذا الكتاب مخطوطة وحيدة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٩ نحو، وعدد أوراقها مائة ورقة ،الأخيرة منها ورقة بيضاء و كل صفحة فيها أربعة عشر سطراً عدد كلمات كل سطر ما بين ست كلمات إلى تسع . والكتاب تام لا نقص فيه ، إلا أن النسخة المخطوطة وقع فيها خطأ فى ترتيب الأوراق ، وتم تجليدها فى دار الكتب على هذا الخطأ . وسبب ذلك أن الكراسة الأولى (والكراسة عشرون ورقة) تشتت أوراقها ووضعت فى غير أماكنها ، وجاءت بهذا الترتيب فى المخطوطة المجلدة بدار الكتب :

(١ ، ٢) ثم (٣٧ – ٤٢) ثم (٢٥ – ٣٦) ثم (٤٣ – ١٩٦) ثم (٢١ – ٢٤) ثم (١٩ ، ٢٠) ثم (١٧ ، ١٨) ثم (١٥ ، ١٦) ثم (١٣ ، ١٤) ثم (٩ – ١٢) ثم (٧ ، ٨) ثم (٥ ، ٦) ثم (٣ ، ٤) ثم صفحة (١٩٧ ، ١٩٨) وهو آخر الكتاب .

وقد أعدت ترتيب هذه الكراسة المدشوته مستدلة بسياق الكلام فوجدت النسخة كاملة لا خرم فيها .

وفى آخر النسخة : ١٩٧ ، تاريخ قراءتها على « أحمد بن عبد الرحمن بن مروان بن حماد » كتبه « ابن مروان » بيده فى صفر من سنة ٣٥١ : وهذا نص القراءة :

« قرأه علىّ أبو جعفر أحمد بن محمد بن مسمار فى صفر من سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة من أوله إلى آخره ، وحضر محمد بن أبى القاسم ذلك ، وكتب أحمد بن عبدالرحمن ابن مروان بن حماد بيده » . ولم أعثر على ترجمة لأحد منهم .

وظاهر من هذا النص أن هذه المخطوطة هى نسخة « أحمد بن محمد بن مسمار » قرأها على شيخه « ابن مروان » وعليها أربع بلاغات فى الصفحات : ٥٠ ، ٩١ ، ١١٧ ، ١٥١ .

وهذه النسخة مشكولة شكلاً كاملاً ، ويلتزم الناسخ وضع علامات الإهمال فيضع تحت الحاء حاءً صغيرة « ح » ص : ٥ : « نحر » ، « حطٌّ » ، وتحت الصاد صاداً صغيرة : ص «فينصرف » ، « الأصلية » ، والعين يضع تحتها رأس عين : ع ص : ٤ : « الفعل » «ضارعت» « أعطيت » ، ويضع فوق الراء علامة كأنها رقم «٧» ص : ٣ : « فيترك » ، ص ٤ : «عمر» وكل ألف ساكنة عليها سكون ص : ٤ « كمّا » ، « الإعرأب » ، «ضارع » «مأ» «لأ» ، وكل تاء مربوطة غير منقوطة ص: ٤ : « متمكنه » «منقوطة» « مبهمه » ، أما الهمزة فقلما يكتبها إلا إذا كانت على الألف أو كانت متطرفة فالمتطرفة ص : ٤ : «بناء» وما كانت على الألف ص : ٣ : « أن » ، « أشد » ، «فأعلمك» ، فهذه أمثلة من رسمه لبعض الحروف . وعند المواضع التى أسقط فيها الناسخ شيئا من الكلام ، يضع علامة إلحاق عند موضع السقط ويثبت تمامه فى الهامش ويكتب عليه (صح) . وليس فى هامش المخطوطة سوى تعليق واحد بخط حديث جدا يقع فى ص : ٧ وقد أثبته فى تعليق على الكتاب فى موضعه ، وكأنه خط « على بن عبد الله بن أحمد بن على الحسينى » الذى تملك هذه النسخة .

وقد تملك النسخة « على بن عبد الله بن أحمد بن على الحسينى » وقد كتب بخطه على الصفحة الأولى التى فيها العنوان ما نصه : « ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً وتسدى لك النصح [ ] بياض بعده « ويحبوك من لم تلتمس فضل ماله ويأتيك بالأخبار من لم تزود « من تشطير [ ] لله على بن عبد الله بن أحمد بن على . ثم كتب فى الورقة البيضاء التى فى آخر الكتاب أبياتاً لعمر بن أبي ربيعة وخبراً عنه وأثبته فى آخر النص . وفى الموضعين كتب اسمه كما أثبته .

ثم تملك هذه النسخة أيضًا إبراهيم باشا ابن محمد على ، فقد كتب تحت ما كتبه على بن عبدالله بن أحمد بن على » ما نصه :

« ملك ولى النعم الحاج إبراهيم »

أما صفحة العنوان فقد جاء فيها العنوان بخط ناصل قد محيت أكثر حروفه ، وهذه صفتها .

« كتاب شرح ... ... فـ»

هذا ما ظهر منها ولفظ « كتاب » واضح جدا و « شر » ظاهرة إلا أن النقط خفى يظهر بالتأمل وحرف (ح) خفىّ أيضًا ولكنه يظهر بالتدقيق ثم ما بعد الحاء ممحو كل المحو ولم يبق منه إلا حرف « ف » فى آخر السطر وهو أيضًا خفى لا يظهر إلا بعد التأمل . ولخفاء هذه الكتابة اجتهد الذين وضعوا فهرس دار الكتب فكتبوا اسمه هكذا « سر النحو » كما جاء فى الفهرس القديم ٤ : ٥٤ ، والفهرس الحديث ٢ : ١١٥ . فزادوا كلمة « النحو » ولا وجود لها إطلاقا وقرءوا « شر » « سر » لخفاء النقط . وتابع فهرس دار الكتب بروكلمان فى كتابه تاريخ الأدب العربى ٢ : ١٧٢ فذكره أيضًا باسم « سر النحو » بيد أن هذا لا يطابق موضوع الكتاب .

وقد أدت قراءة هذا العنوان على هذا الوجه إلى توهم أن الكتاب ناقص فجاء فى فهرس دار الكتب ما نصه « الموجود منه إنما هو باب ما ينصرف وما لا ينصرف » وجاء فى كتاب بروكلمان متابعة للفهرس « كتاب سر النحو : منه قطعة فى القاهرة » . ولكن الصحيح أن الكتاب تام وليس جزءا من كتاب .

وواضح بعد القراءة التى أظهرت نقط الشين ووجود « الحاء » بعد « الراء » ثم « الفاء » الواقعة فى آخر السطر بعد البياض أن اسم الكتاب هو « شرح [ما لا ينصرف] وهو مطابق لموضوع الكتاب . وقد كتب أيضًا تحت العنوان « يعرف بما ينصرف وما لا ينصرف » بنفس خط العنوان وهو ظاهر بأدنى التأمل وبهذا الاسم الأخير « كتاب ما ينصرف ومالا ينصرف » ذكر الكتاب فى أكثر تراجم الزجاج وفى كشف الظنون وفى المخصص لابن سيده حيث نقل عن الزجاج وهذه هى المواضع التى ذكر فيها بهذا الاسم .

الفهرست لابن النديم ص : ٩٦ . معجم الأدباء لياقوت جـ١ ص : ١٥١ ، إنباه الرواة للقفطى جـ١ ص : ١٦٥ ، وفيات الأعيان لابن خلكان جـ١ ص : ٣٢ ، طبقات النحاة واللغويين لابن قاضى شهبة ص : ١٤٢ ونقل عنه ابن سيده فى المخصص جـ١٧ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ وذكره حاجى خليفة فى كتاب كشف الظنون ١٤٥٥ .

وهكذا يثبت أن اسم الكتاب هو « كتاب شرح ما لا ينصرف » وأنه معروف باسم « كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف » ، وهذا مطابق لما جاء فى مقدمة الكتاب إذ جاء فيه :

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس قال : قال أبو إسحاق إبراهيم ابن السرى الزجاج « هذا باب ما ينصرف من الأسماء وما لا ينصرف » ثم ما جاء فى الخاتمة : آخر ما ينصرف وما لا ينصرف ولله الحمد وصلى الله على محمد وعلى أهله وسلم كثيراً .

وأرجح أن هذا الكتاب قد ألف بعد سنة ٢٨٥ ، فالزجاج قد نقل عن أستاذه المبرد ص : ٢٣ وترحم عليه والمبرد توفى سنة ٢٨٥ هـ .

وقد تم تحقيق هذا النص بالرجوع إلى النسخة الوحيدة الموجودة بدار الكتب مع الرجوع إلى المصادر التى نقل عنها المؤلف مثل الكتاب لسيبويه والكتاب المقتضب للمبرد والكامل فى الأدب للمبرد وإلى الكتب التى نقلت عنه مثل المخصص لابن سيده وإلى الكتب التى نسبت أقوالاً وآراء للزجاج فى موضوع ما ينصرف وما لا ينصرف كما تم الرجوع إلى كتابه إعراب القرآن ومعانيه. ومحافظة على الأصل أشير إلى بدء الصفحات على هيئة كسر بسطه الرقم الصحيح ومقامه الرقم المسجل على أوراق نسخة دار الكتب .

وإذا سميت رجلا بافعو وبعثمن
فقد نزه فاعل يد لأن عل لا
والمثال أبلغ القدر ○ وإذا سميت رجلا
بهشلا ونهيت صرفه للتعريف والتأنيث
كان بهشلا فعلل ولا تحذف لام النون لأنه
بنية والهشل السبق وقد ذكر بعض النحويين
أن بهشلا لجون أن يكون فعل وهذا غلط لأنه
يقال رجل بهشل وامرأة بهشلة للذئب والسبع
ولو كانت النون زائدة لقالوا هشل بعدو فقلبوه
اللغة إذا أسن الإنسان ○ وإذا سميت منه
رجلا قلت قد بهشلت المرأة فتأويله فعللت
وليس في الكلام قد تفعلت المرأة ○ وإذا سميت
رجلا بوحسر لم تصرفه فيه [illegible]
في النكرة ومن صرفه حسا على وزن يفعل وإذا
[illegible]

وهو حوض الغل وأحدثه أبله فهو أبلم
يقال بأنه أفعل على وزن أفعل لا يصرف في
المعرفة ويصرف في النكرة وإن لم يعلم أنه
فيه زيادة كما مال فاعل لما زادت الهمزة فيه
علمنا بالزيادة دون أن يعرف له اشتقاق
بالجواب في ذلك أن جميع ما وجدت فيه الهمزة مما
يعلم اشتقاقه وجدت فيه زائدة نحو أحمد
لأنه من الحمد وهو مزيد الفعل ونحو أبلم
أنه من بلم ○ ونحو الصفات في الألوان
على أفعل حيث حكوه وأخذوا أصله من المصدر
والجمع فقد تبين زيادة ما وجد له اشتقاق
فبهذا سبيل ما لم يجد له اشتقاقا فيأس ما وجدت
له اشتقاقا ○ فإذا جمعت الاسم المهموز
فزيادته هي أو حرف من حروف
الزوائد تكون في الاستفهام فيها الزائد

To: www.al-mostafa.com

يا أبتاه يا أبتاه يا أبتاه

آخر ما ينصرف وما لا ينصرف ولله
الحمد وصلى الله على محمد وعلى آله
وسلم كثيرا